

منبر المحراب

السنة الخامسة عشرة

العدد ٨٢٦ - ٢٦٠ / ربيع الأول / ١٤٣٠ هـ

الموافق ٢٤ / آذار / ٢٠٠٩ م

بين حقوق المجتمع وواجبات الفرد

- الإصلاح: وأمر بالسعي للإصلاح: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الحجرات، ١٠
- العفو: وأمر بالعفو والمسامحة: ﴿خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾. سورة الاعراف، ١٩٩.

- الوفاء بالعقود: وأمر بالوفاء بالعقود: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ المائدة، ١

- أداء الأمانة: وأمر بأداء الأمانة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ النساء، ٥٨

- التكافل والتواصي: وأمر بأداء حق الفقراء والمساكين وابن السبيل وعدم تبديد الثروة بالتبذير والاسراف: ﴿وَأْتِذَا الْفُرْيِ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ النساء، ٥٨. وأمر بالتواصي بالحق والبصير: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ العصر، ٣

- حفظ الحرمات: وحرّم الدخول إلى بيوت الآخرين دون إذن منهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ النور، ٢٧.

- النهي عن كل ما يفسد الأواصر الاجتماعية: نهى القرآن الكريم عن الاعتداء على الآخرين، بالظلم والقتل وغصب الأموال والممتلكات والاعتداء على الأعراض: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ لقمان، ١٧.

- ونهى عن بخص الناس حقوقهم: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ هود، ٨٥.

- وحرّم ما يؤدي إلى قطع الأواصر الاجتماعية، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ...﴾ الحجرات، ١١.

- وحرّم الظن الأثم والتجسس على الناس واغتيالهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

وَأَكَّدَ الإمام علي عليه السلام على استخدام الأساليب المؤدية إلى الألفة والمحبة، ونبذ الأساليب المؤدية إلى التقاطع والتباغض، فقال: «لا تغضبوا ولا تغضبوا افشوا السلام وأطيبوا الكلام (تحف العقول: ١٤٠)

وقد وضع الإسلام منهاجاً متكاملأ في العلاقات قائماً على أساس مراعاة حقوق أفراد المجتمع فرداً وفرداً وجماعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل، ٩٠). فالتقيد بهذا الأمر الإلهي يعصم الإنسان من التقصير في حقوق المجتمع، ويدفعه للعمل الدؤوب لتحقيق حقوق الآخرين وأداء مسؤوليته على أحسن وجه أرادته الله تعالى منه.

٢- حقوق المجتمع في القرآن الكريم: لقد وضع القرآن أسساً عامة لعلاقة الفرد بالمجتمع، ووضع لكل طرف حقوقه وواجباته للنهوض من أجل إتمام مكارم الأخلاق، وإشاعة الحب واللثام في ربوع المجتمع الإنساني، وفيما يلي نستعرض جملة من حقوق المجتمع على الفرد والأسرة، وأهم تلك الحقوق:

التعاون على البر والتقوى لا الاثم والعدوان قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة، ٢.

الإحسان: وأمر القرآن الكريم بالإحسان إلى أفراد المجتمع: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ النساء، ٣٦.

- النصرة: وأقر القرآن حق النصرة: ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ...﴾ الانفال، ٧٢.

- الوحدة: وأمر بالاعتصام بحبل الله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ الانفال، ٧٢.

محاور الموضوع الرئيسية:

- المسؤولية تكليف عام
- حقوق المجتمع في القرآن الكريم
- مبادئ الحقوق في المجتمع الإسلامي
- الواجبات والحقوق المتبادلة والآثار المترتبة عليها

الهدف: التعرف الى جوانب من حقوق المجتمع وواجبات الفرد .

تصدير الموضوع: قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائرُه بالحمى والسهر» المحجة البيضاء ٣: ٧٥٣

مدخل: الإسلام ليس منهج اعتقاد وإيمان وشعور في القلب فحسب، بل هو منهج حياة إنسانية واقعية، يتحول فيها الاعتقاد والإيمان إلى ممارسة سلوكية في جميع جوانب الحياة لتقوم العلاقات على التراحم والتكافل والتناصح، فتكون الأمانة والسماحة والمودة والإحسان والعدل هي القاعدة الأساسية التي تنبثق منها العلاقات الاجتماعية، وهذا ما يلزم الأفراد بالكثير من الواجبات تجاه بعضهم البعض كأفراد، وتجاه المجتمع ككيان اجتماعي يحتضن جميع أفراد.

١- المسؤولية تكليف عام: جعل الإسلام كل مسلم مسؤولاً في بيئته الاجتماعية، يمارس دوره الاجتماعي من موقعه، ودعا الرسول ﷺ إلى الاهتمام بأمور المسلمين ومشاركتهم في أمالهم وآلامهم، فقال: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم» (الكافي ٢: ١٦٣)، ودعا الإمام الصادق عليه السلام إلى الالتصاق والاندكاك بجماعة المسلمين فقال: «من فارق جماعة المسلمين قيد شبر، فقد خلع ربة الإسلام من عنقه» (الكافي ١: ٤٥٥).



إليه يصعد الكلم الطيب

وحينئذ ذكر الإمام السبعة بعد أن قال عن الأول منها «يسر حق منها أن تحب له كما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك»

والحقوق السبعة التي أوضحها الإمام عليه السلام هي:

- أن تحب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك.

- أن تجتنب سخطه، وتتبع مرضاته، وتطيع أمره.

- أن تعينه بنفسك، ومالك، ولسانك، ويدك، ورجلك.

- أن تكون عينه، ودليله، ومرآته.

- أن لا تشيع ويحوج، ولا تروى ويظما، ولا تلبس ويعرى.

- أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم، فواجب أن تبعث خادمك، فتغسل ثيابه، وتصنع طعامه، وتمهد فراشه.

- أن تبر قسمه، وتجيب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته، وإذا علمت له حاجة تبادره إلى قضائها، ولا تلجئه أن يسألها، ولكن تبادهر مبادرة.

ثم ختم عليه السلام كلامه بقوله: فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايتك بولايتك، (الكافي، ج ٢ ص ١٦٩، باب حق المؤمن على أخيه)

هـ- الآثار الإيجابية لمراعاة حقوق المجتمع:

تحدثت الروايات الكثيرة عن ثواب من راعى حقوق أفراد المجتمع، منها:

- قال رسول الله ﷺ: «من رد عن عرض أخيه المسلم وجبت له الجنة ألبنة» (وسائل الشيعة، ج ١٢ ص ٢٩٢، باب وجوب رد غيبة المؤمن).

- وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام: «من كف عن أعراض الناس كف الله عنه عذاب يوم القيامة، ومن كف غضبه عن الناس أقاله الله نفسه يوم القيامة». (م.ن. باب تحريم الطعن على المؤمن).

- وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «من أطعم مؤمناً من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقى مؤمناً من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم، ومن كسا مؤمناً كساء الله من الثياب الخضر» (ثواب الأعمال: ١٦٤).

لجميع، قال تعالى: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم» - الحجرات: ١٢. «ولقد كرمنا بني آدم» - (الإسراء: ٧).

وورد عن رسول الله ﷺ قوله: (كلكم لأدم وأدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى...) (بحار الأنوار، ج ٧٣ ص ٢٥٠).

وروي عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: «الذليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه» (نهج البلاغة، الخطبة (٣٧)).

أما المساواة أمام القانون فقد ورد بشأنها قول رسول الله ﷺ: «الناس سواسية كأسنان المشط»، وقول الإمام علي (ع): «والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من بر كم صاعاً ورأيت صبيانه شعث الشعور غير الألوان من فقرهم كأنما سودت وجوههم بالعظم، وعادوني مؤكداً، وكرر علي القول مردداً، فأصغيت إليه سمعي، فظن أني أبيع ديني...» نهج البلاغة، الخطبة (٢٢٤).

ثالثاً، الأخوة: أما الأخوة فلم تكن غائبة عن الإسلام، بل كانت أول خطوة قام بها حامل لوائه الرسول ﷺ حين وصل المدينة وأقام الدولة في يثرب، كما صعد القرآن الكريم بالأخوة قائلاً: (إنما المؤمنون أخوة..)، وأكد عليها أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في عهده لمالك الأشتر حين ولاه مصر، حيث قال: «الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق».

(نهج البلاغة، من عهده لمالك الأشتر، ج ٣ ص ٨٤)

رابعاً، الواجبات والحقوق المتبادلة: سأل الإمام الصادق عليه السلام أحد أصحابه المعلى بن خنيس عن حقوق الإخوان، فقال أبو عبد الله: له سبعة حقوق واجبات، ما منهن حق إلا وهو عليه واجب، إن ضيع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته، ولم يكن لله فيه نصيب.

قلت جعلت فداك، وما هي؟ قال عليه السلام: يا معلى إني عليك شفيق، أخاف أن تضيع ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل. قلت: لا قوة إلا بالله.

قلت جعلت فداك، وما هي؟ قال عليه السلام: يا معلى إني عليك شفيق، أخاف أن تضيع ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل. قلت: لا قوة إلا بالله.

قلت جعلت فداك، وما هي؟ قال عليه السلام: يا معلى إني عليك شفيق، أخاف أن تضيع ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل. قلت: لا قوة إلا بالله.

اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً» الحجرات، ١٢.

- وحرّم إشاعة الفاحشة في المجتمع الإسلامي: «إِنَّ الدِّينَ يُحْبِئُ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الدِّينِ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ...» النور، ١٩.

وهكذا يوفر القرآن في هذه اللائحة الطويلة والعريضة، ما يضمن توفير الحصانة للمجتمع البشري، وهو يضع النظام الدقيق والشامل، من أحكام وقيم أخلاقية، ليكون الامان والتألف والتعايش والتكافل معالم أصيلة في الحياة الاجتماعية.

٣- مبادئ الحقوق في المجتمع الإسلامي:

إن حقوق الإنسان في الإسلام منحة إلهية منحها الله لخلقه، فهي ليست منحة من مخلوق لمخلوق مثله، يمن بها عليه ويسلبها منه متى شاء، بل هي حقوق قررّها الله للإنسان.. ومن خصائص ومميزات الحقوق في الإسلام أنها حقوق شاملة لكل أنواع الحقوق، سواء الحقوق السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية. كما أن هذه الحقوق عامة لكل الأفراد دونما تمييز بينهم في تلك الحقوق بسبب اللون أو الجنس أو اللغة. ومن خصائص هذه الحقوق أنها كاملة وغير قابلة للإلغاء، لأنها جزء من الواجبات الاجتماعية وفق تعاليم الشريعة الإسلامية.

ويمكن إيجاز هذه المبادئ بالآتي:

أولاً: الحرية: لقد ولد الإنسان حراً وهكذا أراد الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: «إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً» (الإنسان: ٢).

وأشار الإمام علي عليه السلام إلى هذه الروح الإرادية التي فطر الإنسان عليها في أصل خلقته بقوله: (ثم فيها نخم من روحه فمثلت إنساناً ذا أذهان يجليها وفكر يتصرف بها وجوارح يخترمها وأدوات يقبلها ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل) (نهج البلاغة، الخطبة (١)).

ثانياً: المساواة: المساواة في الرؤية الإسلامية هي: تماثل كامل أمام القانون وتكافؤ كامل إزاء الفرص، وتوازن بين الذين تفاوتت حظوظهم من الفرص المتاحة